E-ISSN: 2789-3359 || P-ISSN: 2789-7834 || Arab Impact Factor 2021: 0.5

الرؤية الفكرية لسؤال "الإصلاح والتجديد" في ضوء الهوية العربية المعاصرة لدى المفكر "طارق البشري"

Intellectual vision of the question of "reform and renewal" In the light of contemporary Arab identity By Tariq Al-Bishri

د. سهام الحمداني: دكتوراه في الفكر الإسلامي المعاصر وعلم العقائد والأديان من جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، المغرب

Dr. Siham Elhamdany: PhD in Contemporary Islamic Thought, Theology and Religions from Mohammed V University, Faculty of Letters and Human Sciences, Rabat.

Email: alhamdany.siham@gmail.com

الملخص:

تتناول هذه الدراسة الرؤية الفكرية لسؤال الإصلاح والتجديد في ضوء الهوية العربية المعاصرة لدى المفكر "طارق البشري". نظرة موجزة حول سيرة أفكار الإصلاح والتجديد في العالم الإسلامي، ومحاولة للوقوف على مسارات وكليات هذه السيرة، وكيفية تطوير انشغالاتها في ضوء السياقات المعاصرة بالأمة سواء من خلال المضامين أو الوسائل أو إعادة بناء الأولويات. ومجمل ما يقال حول هذا الموضوع أن القصد من سؤال «الإصلاح والتجديد» هو العمل بالمرجعية الإسلامية.

وقد استخدمت المنهج الاستقرائي والتحليلي وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها أنَّ الإصلاح الشامل هو مَطلَبٌ وطنيٌ وقوميٌ وإسلاميٌ، وأنَّ الشُّعوب هي المعنيَّة أساسًا بأخْذ المبادرة لتحقيق الإصلاح، الذي يهدف إلى إنجاز آمالها في حياةٍ حُرَّةٍ كريمةٍ ونهضةٍ شاملةٍ وحريةٍ وعدلٍ ومُساواةٍ وشُورى.

كما أوصلت بمجموعة من التوصيات أهمها ضرورة القيام بريادةِ هذا الإصلاح والتي لا تَقوَى عليه حُكومة، ولا أي قوَّة سياسيَّة مُنفَردة؛ بل هو عِبءٌ يجبُ أنْ يحمله الجميع، وأنَّ المصالحة الوطنيَّة العامَّة التي تُؤدِّي إلى تضافُر الجهود جميعًا هي فريضة الوقت، ليس لمجرَّد الوقوف ضدَّ المخطَّطات الهادفة إلى استباحة المنطقة، وللنهوض من عثراتنا، وعِلاج مشاكلنا، ولإحداث التقدُّم المأمول والرقيِّ المنشود.

الكلمات المفتاحية: الرؤية الفكرية، الإصلاح، التجديد، الهوية العربية المعاصرة، طارق البشري.

Abstract:

This study deals with the intellectual vision of the question of reform and renewal in the light of the contemporary Arab identity of the thinker "Tariq Al-Bishri". A brief look at the biography of the ideas of reform and renewal in the Islamic world, and an attempt to identify the paths and faculties of this biography, and how to develop its preoccupations in the light of contemporary contexts in the nation, whether through content, means, or rebuilding priorities.

In sum, what is said on this subject is that the intent of the question of "reform and renewal" is to work with the Islamic reference.

The inductive and analytical approach was used, and the study reached conclusions and recommendations;

As for the results: That comprehensive reform is a national, national and Islamic demand, and that the peoples are primarily concerned with taking the initiative to achieve reform, which aims to achieve their hopes for a free and dignified life, a comprehensive renaissance, freedom, justice, equality and consultation.

As for the recommendation: That no government, nor any single political force, could be able to lead this reform. Rather, it is a burden that must be borne by all, and that the general national reconciliation that leads to concerted efforts by all is the duty of the time, not merely to stand against the plans aimed at subjugating the region, to rise from our stumbles, to remedy our problems, and to bring about the hoped-for progress and desired progress.

Keywords: intellectual vision, reform, renewal, contemporary Arab identity, Tariq al-Bishri.

الإطار المنهجي للدراسة:

المقدمة:

لقد شغلت إشكالية الإصلاح والتجديد الفكري في العالم العربي والإسلامي اهتمام الباحثين والمفكرين والمصلحين منذ ما يقارب القرنين ونصف[1]. وتباينت الطروحات حول كيفية إصلاح واقع العالم الإسلامي؛ لتباين زوايا النظر إلى جوهر المشكلة التي تعاني منها الأمة الإسلامية منذ سقوط

[1]- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط3، الجزائر، 1986، ص: 10/ج:1.

حضارتها. فإذا كان البعض يرى في الإصلاح السياسي جوهر المشكلة، فإن البعض الآخر يعتقد أن الخلل الذي أصاب الأمة يكمن في العقيدة، ولهذا ينبغي أن يبدأ الإصلاح من هذه العقيدة، ويذهب فريق ثالث إلى حد اعتبار المشكلة التي تعانيها الأمة العربية يعود إلى عدم مقدرتها على الإصلاح والتجديد من ذاتها، بل لا بد لها من استيعاب النموذج الحضاري الغربي، فهو وحده الكفيل بإحداث النقلة النوعية لحاضر العالم الإسلامي، وإخراجه من وهدت التخلف والانحطاط[1].

وتباينت هذه الطروحات إذ ساهمت بشكل أو بآخر في تأخير عملية الإصلاح والتجديد، نظرا لخلل في الطرح، وغبش في الرؤية، وقصور في الفهم، وانحراف في الفكر.

إن الاهتمام والعناية بمجال الإصلاح والتجديد الفكري بسبب هذه الاشتباكات الثقافية العربية، مع إبراز مسائل جديدة في المجتمع العربي مثل سؤال الهوية، والعلاقة بين القديم والجديد، والتراث والحداثة، والأصالة والمعاصرة، والتجديد والإصلاح، والتقدم والتخلف، والثقافات الوافدة، والتنمية، والصراع الدولي وغيرها، وهذه الإشكالات والأسئلة المعاصرة توجد في المنهجية الإسلامية إجابات عليها، ولكن إهمال هذه القضايا في الخطاب الإسلامي المعاصر، وإهمال تقديم الإجابات الناضجة المنطلقة من النصوص الشرعية أحدث فراغا كبيرا جعل التيارات الأخرى تدخل فيه بمنهجياتها المخالفة [2].

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

يعد المفكر طارق البشري استثناءا داخل الخطاب الإسلامي المعاصر وذلك من خلال مساهماته الإصلاحيَّة، المتمثِّلة في كيفية تصوره لمفهوم الإصلاح والتجديد وشروطه وتجاربه في الأمة الإسلامية: ومن هنا تنطلق هذه المقالة من سؤال محوري: **كيف يتصور المفكر الإسلامي طارق البشري مفهوم الإصلاح؟.**

فرضيات الدراسة:

ترتكز فرضية الدراسة على أن الخلل السياسي والعقدي وجل الأمراض التي تعانيها الأمة الإسلامية، إنما هي مظاهر لأزمة وليست جوهرها، فجوهرها يعود إلى خلل في ثقافة الإنسان واضطراب في منظومته الفكرية، وقصور في نسقه المعرفي الذي تشكل في سياق تاريخي وحضاري، أسهم بشكل أو بآخر في وصول الأمة العربية إلى ما هي عليه الآن.

[2]- عبد الصبور شاهين، وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر، ط 5، الجزائر، 1986، صص: 29-31.

[3]- عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، شروط النهضة دار الفكر، ط4، الجزائر، 1987، ص: 24.

أهمية الدراسة:

إن أهمية البحث في موضوع الإصلاح والتجديد في الهوية العربية المعاصرة من القضايا الأساسية التي شغلت المثقفين في العالم، فالهوية قضية محورية، وعنصراً هاماً واستراتجياً. والهوية الإسلامية المتميزة بمرجعيتها الربانية، هي ما يعطي للمجتمع الإسلامي قيمته ويحفظ عليه تماسكه ولا عزة له بدونها.

ويُحدث التاريخ الماضي والمعاصر عن الكثير من الأحداث التي مرت بالمجتمع الإسلامي وكانت تهدف إلى طمس هويته وتشتيت انتمائه.

ومن هنا كانت أهمية الدور الذي ينهض به مثقفو الأمة الإسلامية في تنمية الوعي بحقيقة الهوية الإسلامية وأهميتها، وإيضاح ركائزها، والدعوة إلى تجسيد مبادئها إلى واقع، والدفاع عنها، ودعوة الآخر إليها.

هدف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى الاطلاع على التأصيل النظري للمستشار طارق البشري عبر إسهاماته منذ التحول الفكري الذي حصل لديه، نجد كل إسهاماته رصينة مفعمة برحيق القرآن، فمنظروه هذا هو دلالة عن وعي عميق بأصالة الحضارة الإسلامية والاعتقاد الجازم بتميزها، والرغبة نحو تجديدها، وهذا كله لا يمكن حسمه إلا بالحسم المطلق مع مشكلة الهوية والتصالح مع الأمة والذات. فرؤية البشري هي محاولة بناء النظرية الإسلامية المعاصرة على مستويات عدة، فكريا، قانونيا، تشريعيا، اجتماعيا، وثقافيا وتاريخيا ...

هيكل الدراسة:

حاولت الإحاطة بكل هذه الجوانب الرئيسية لموضوع المقالة، فإننا عمدنا إلى تقسيم موضوع البحث إلى ثلاثة مباحث أساسية: **المبحث الأول** يتضمن التعريف بطارق البشري: السيرة والمسار، و**المبحث الثاني** يتناول **مفهوم الإصلاح والتجديد لدى طارق البشري** معتمدين في ذلك على عدة كتابات عربية أبرزها **"وجهة العالم الإسلامي** "لصاحبه عبد الصبور شاهين. سنحاول أن نحدد فيه أساسيات الإصلاح.

كما أن هذا المبحث يتحدث عن **شروط وتجارب الإصلاح والتجديد** مركزين في ذلك على أهم المراجع أبرزها **"تقديم: الإصلاح والتجدد في أمتي .. صناعة توحيدية محلية وحضارية، أمتي في العالم"** لصاحبه المفكر العربي طارق البشري.

وفي **المبحث الثالث** يتطرق إلى أهم **مجالات ومقومات ومنطلقات الإصلاح والتجديد عند طارق البشري**، ونعتمد في إنجاز ذلك أساسا على أحد أهم كتب المفكر طارق البشري، والذي يحمل عنوان "منهج النظر في النظم السياسية المعاصرة لبلدان العالم الإسلامي". ثم الخاتمة شملت أبرز النتائج المستخلصة من هذه الدراسة.

وقد توزعت هذه الدراسة إلى ثلاثة مباحث أساسية بعد المقدمة، وفي الأخير ذيلت هذه الدراسة بخاتمة؛ وقائمة المصادر والمراجع.

أما الملخص فقد اشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

- وأما المقدمة فاشتملت على العناصر الأساسية الآتية: مشكلة الدراسة وتساؤلاتها، فرضيات الدراسة، هيكل الدراسة، أهمية الدراسة.
- المبحث الأول: قصد منه التعريف بطارق البشري: السيرة والمسار.
- المبحث الثاني: فخصص لدراسة مفهوم الإصلاح والتجديد والشروط والتجارب لدى طارق البشري.
- المبحث الثالث: فكان حول مجالات ومقومات ومنطلقات الإصلاح والتجديد لدى طارق البشري.

وفي الأخير ذيلت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم ما انتهيت إليه من نتائج، وأهم ما توصلت إليه من خلاصات.

المبحث الأول: طارق البشري: السيرة والمسار

طارق البشري مفكر ومؤرخ ومشرع مصري، من أسرة علم وقضاء وأدب، شكلت فتاواه القانونية مرجعا للقضاة والباحثين في فهم النصوص واستنباط الأحكام. انشغل بالقانون وكتب في الفكر الإسلامي الذي تحول إليه بعد نكسة سنة: 1967.

ولد طارق عبد الفتاح سليم البشري يوم 1 نوفمبر/تشرين الثاني 1933 في حي الحلمية بمدينة القاهرة، لأسرة ترجع إلى محلة بشر بمركز شبراخيت بمحافظة البحيرة شمال القاهرة.

عرفت أسرته بالاشتغال بالعلوم الإسلامية والقانون، فجده لأبيه تولى مشيخة المالكية في مصر، ووالده المستشار عبد الفتاح البشري كان رئيس محكمة الاستئناف، وعمه عبد العزيز البشري أديب معروف.

وبعد استكماله التعليم الثانوي التحق بكلية الحقوق بجامعة القاهرة، وتعلم فيها على يد كبار فقهاء القانون والشريعة أمثال عبد الوهاب خلاّف وعلي الخفيف ومحمد أبو زهرة، وتخرج فيها سنة 1953.

وبعد تخرجه من كلية الحقوق عُيّن نائبًا أول لمجلس الدولة، ورئيسا للجمعية العمومية للفتوى والتشريع واستمر في هذا المنصب حتى تقاعده سنة 1998.

عينه المجلس العسكري الأعلى للقوات المسلحة في مصر يوم 14 فبراير/شباط 2011 رئيسا للجنة تعديل الدستور عقب ثورة 25 يناير الشعبية التي أطاحت بالرئيس المصري حسني مبارك.

وبدأ تحوله إلى الفكر الإسلامي بعد هزيمة 1967، وكانت مقالته "رحلة التجديد في التشريع الإسلامي" أول ما كتبه في هذا الاتجاه، ثم تابع كتبه ودراساته في نفس المجال.

أصدر عددا من الفتاوى والآراء الاستشارية وصفت بأنها تتميز بالعمق الشديد والتحليل والتأصيل القانوني، وما تزال تلك الفتاوى تعين القضاة والمشتغلين بالقانون على فهم الموضوعات المعروضة عليهم.

اعتبر على نطاق واسع واحدا من المفكرين الذين ساهموا في توضيح معالم طريق الفكر الإسلامي، ووفرت كتاباتهم كثيراً من الوقت في رسم الخرائط المعرفية، حسب تعبير الدكتورة نادية مصطفى، المستشارة الأكاديمية لمركز الحضارة للدراسات السياسية.

يصفه الدكتور سيف عبد الفتاح بأنه "الفقيه المجتهد" الذي "يمثل المرجعية للجماعة الوطنية وكافة التيارات برغم أنه يحسب على التيار الإسلامي، فهو يجمع في شخصه هوية الوطن ولغة المؤسسة الجامعة ولغة الإصلاح."

قبل خمس سنوات من ثورة 25 يناير/كانون الثاني 2011 أصدر كتابا بعنوان "مصر بين العصيان والتفكك"، اعتبر فيه أن العصيان المدني فعلٌ إيجابي يلتزم عدم العنف، ويقوم على تصميم المحكومين أن "ينزعوا غطاء الشرعية" عن "حاكم فقد شرعيته فعلا" منذ زمن.

نوّهت صحيفة "الشروق" المصرية عام 2011 بما يكتبه البشري، وأنه يجب أن يُقرأ بتأنٍّ وانتباه كبير ودون كسل، وأشارت إلى أن جميع التيارات الفكرية والسياسية في البلاد تحترمه، وأنه واحد ممن اتفق عليه الجميع. وبعد الانقلاب الذي قاده وزير الدفاع المصري عبد الفتاح السيسي 2013، صدرت عنه تصريحات رافضة، فقد اعتبر أن الدستور الذي أصدره السيسي "يعد أثرًا من آثار الانقلاب العسكري على السلطة الشرعية، وأنه لم يجر على النحو الذي أقره دستور 2012 لتعديل مواده."

ومن أبرز ما ألَّف: "الحركة السياسية في مصر 1945-1952"، و"الديمقراطية ونظام 23 يوليو"، و"المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية"، و"بين الإسلام والعروبة"، و"منهج النظر في النظم السياسية المعاصرة لبلدان العالم الإسلامي".[1]

المبحث الثاني: مفهوم الإصلاح والتجديد عند طارق البشري

رؤية طارق البشري لمفهوم الإصلاح والتجديد داخل الأمة العربية وواقعها بحالة الوعي الإسلامي، وتجديد وعي النخب والجماهير بدائرة الأمة وقضاياها المعاصرة. إذ يؤكد البشري: "أن الإصلاح والتجديد يجب أن تكون صناعة توحيدية محلية صرفة في حالة الأوطان القطرية، وصناعة حضارية واقعية في حالة الكيان الأشمل ألا وهو الأمة. على أن تكون البداية في البعد الديمقراطي للإصلاح، وذلك ناجم من عِبر الماضي ودروسه ومآسي الحاضر ومرارته"[2].

وقدَّم خلال قوله: رؤية مستقبلية للإصلاح في العالم الإسلامي تنطلق من الحاضر التاريخي والواقعي للأمة، مؤكدًا أن الواقع هو مفتاح فهم المستقبل، وأن أسئلة الحاضر الممتد هي التي تصوغ رؤيتنا المستقبلية في الفكر والحركة. وأننا حين ندرس خبرات الإصلاح لا ندرسها لننسخها في بلادنا دون مراعاة لاختلاف السياقات الزمنية والمكانية والاجتماعية والثقافية، وإنما ندرسها للاستفادة منها مع مراعاة هذه الفروق الدقيقة. وأن مشكلة الأمة تتمثل في أن "أذرعنا لا تعمل جيدًا، وأرجلنا لا تسير جيدًا، وهي مشكلة حركية تتعلق بالقدرة على جعل أهدافنا تتوافق مع مصالحنا ماديًا ومعنويًا".

وذكر أيضاً: "أن الإصلاح يكون بتجاوز العقبات والأزمة الراهنة التي تعاني منها الأمة العربية والإسلامية والتي نحن الآن في العشر الأولى من القرن الواحد والعشرين، ما أشبه وضعنا بوضع

[1]- الفقيه القانوني والمؤرخ والمفكر الكبير المستشار طارق البشري"، الشروق. 26 فبراير 2021.

[4]- طارق البشري: " تقديم: الإصلاح والتجدد في أمتي .. صناعة توحيدية محلية وحضارية، أمتي في العالم"، الإصلاح في الأمة بين الداخل والخارج، ع7، 2007 ص: 1.

أسلافنا في العشر الأولى من القرن العشرين؛ من حيث السيطرة الأجنبية على مقدرات السياسات الرسمية في كلا ظرفي الزمان المذكوريْن، ومن حيث سعى أعداء الأمة لتفكيك قوة تماسكها وبعثرتها. ولكنني يمكن أن ألحظ أن ما نجحنا به في تجاوز أزمات الماضي هو ما سنستطيع به تجاوز أزمات الحاضر إن شاء الله سبحانه".

وأضاف: "أن التجديد هو أن يستجيب الفكر للتحديات التي يفرضها الواقع في مرحلة زمنية معينة[1].

وذهب في قوله: "أن للإصلاح خطوات لابد أن تكون نابعة من الإطار المرجعي الإسلامي ومن القيم الحضارية الإسلامية [2]. (هذا ما سنراه من خلال المحور التالي).

ومن الحق أنْ نعرف أنَّنا بعدنا إلى حَدٍّ كبير عن مُقتَضيات الإسلام الذي يحضُّ على أنْ نقتبس النافع وأنْ نأخُذ بالحكمة أنَّى وجدناها فهي ضالَّتنا، ولا أمَل لنا في تحقيق أيِّ تقدُّم يُذكَر في شتَّى نواحي حياتنا إلا بالعودة إلى دِيننا وتطبيق شريعتنا والأخْذ بأسباب العلم والتقنية الحديثة، وحِيازة المعرفة بأقصى ما نستطيع، في ظِلِّ ثَوابِت هذا الدِّين العظيم ومن مُنطَلَق مبادئه وقيمه.

المبحث الثالث: شروط وتجارب الإصلاح والتجديد لدى طارق البشري

من شروط الإصلاح والتجديد أن يكون التجديد بذات المادة الفكرية ومن داخلها. وفي تصوري أن أدوات التجديد موجودة من قديم، وفي كل مذهب ستجد أدوات التجديد وآليات فكرية وعقلية من داخله، حتى المذهب الحنبلي والظاهري اللذين يرفضان القياس تماما؛ لذلك هناك أحكام إذا أردنا فيها حكماً ملائما لعصرنا، قد نجدها في المذهب الظاهري، لأنه يعتمد على الإباحة المطلقة فيما بعد النصوص، والمشكلة هي أننا لم نتمكن من وضع موجات الإصلاح التي ذكرتها على هذا الطريق بسبب الخطر الخارجي الآتي من الغرب، والذي جعل المؤسسة السياسية تتصارع مع مؤسسة الإصلاح الفكري، حيث ضربت حركة الإصلاح السياسي حركة الإصلاح الفكري في الصميم، وأوقفتها وحددتها في وقت كان الفكر الغربي الفلسفي يرمي بذوره في تربتنا، وبدأت تظهر أنماط المعيشة الغربية غير الملائمة للقيم والعادات الإسلامية. وهنا كان للقوى المحافظة دور إيجابي عليها

[1]- طارق البشري، "حوار: العروبة والإسلام .. لا يتعارضان كل الدعوات السياسية قد تتأرجح بين التطرف والاعتدال"، مجلة الجزيرة، قطر، ع 73، 2004.

[2]- طارق البشري، "أين المحنة التي تواجه الأمة؟، أمتي في العالم"، الحرب على العراق وتداعياتها على أرجاء الأمة الإسلامية، ع6، 2005. ص:7.

أن تلعبه، وحدث الصراع بين القديم والحديث، بين المجددين والمحافظين، وكل منهم يريد أن يتلاءم الفكر مع تحديات الواقع القائم، فالمحافظ يريد أن يثبت الأصول التي أصبحت في خطر في مواجهة التجديد الذي يريد أن ينفي هذه الأصول وينحيها عن الواقع. وعندما جاءت الموجة الثالثة التي ظهرت خلالها الحركات الإسلامية الحديثة، كان المثل الاجتماعي لكثير من المثقفين والحركات الشعبية وافداً من الغرب، من هنا أصبحت الحركات الإسلامية أكثر إيغالا في الإحساس بضرورة الدفاع عن الأصول ومواجهة من يريد حصر الإسلام في المسجد، حتى وصلنا إلى ما نحن فيه .. كيف نحافظ على الأصول، وفي الوقت نفسه نجدد الفكر[1].

وعند النظر إلى تجاربه يبدو واضحاً من تجارب الإصلاح ومحاولاته عبر القرنين الأخيرين كيف كانت الفكرة ذاتها – عند نقلها من بيئتها إلينا- تتخذ وضعًا فاسدًا وتكون دعوة لإصلاح ضال يفضي في التطبيق إلى خلاف ما أراد ناقلوها من فائدة، أو تتخذ وضعًا حميدًا وتكون دعوة لإصلاح رشيدٍ يفضي إلى تحقيق النفع لمجتمعاتنا وإلى ما تصير به من أدوات مواجهة التحديات القائمة. فعلى سبيل المثال: وجدنا أن أفكارًا مثل الديمقراطية وحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية - وهي من أنبل الأهداف التي تقضي على الاستبداد والاضطهاد، وتمكِّن الجماهير من حكم نفسها بنفسها- حينما ترد في إطار ظروف اجتماعية غير مواتية، أو تستند لدعم الدول الطامعة الساعية للتدخل في الشئون الداخلية، الهادفة إلى تفكيك الدولة واقتسام أشلائها؛ فتصير الديمقراطية بابًا شرعيًا للتدخل الاستعماري في شؤونها وتنفيذ المآرب"[2].

[7]- طارق البشري: "حوار: العروبة والاسلام .. لا يتعارضان كل الدعوات السياسية قد تتأرجح بين التطرف والاعتدال"، مجلة الجزيرة، الدوحة، ع 73، 2004.

[8]- طارق البشري: "تقديم: الإصلاح والتجدد في أمتي .. صناعة توحيدية محلية وحضارية، أمتي في العالم"، الإصلاح في الأمة بين الداخل والخارج، ع7، 2007، ص: 1.

[2]- طارق البشري، نحو تيار أساسي للأمة، دار الشروق، ط 1، القاهرة، 2011، صص: 31-32.

المبحث الرابع: مجالات ومقومات ومنطلقات الإصلاح والتجديد عند طارق البشري

تناول البشري قضية الإصلاح والتجديد من خلال مجموعة من المجالات الأساسية نذكر منها على سبيل الحصر:

- **رؤيته في مجال الإصلاح السياسي:**

يقصد بالتيار السياسي هو الإطار الجامع لقوى الجماعة والحاضن لها، وهو الذي يجمعها ويحافظ على تعددها وتنوعها في الوقت نفسه. إنه ما يعبر عن وحدة الجماعة من حيث الخطوط العريضة للمكون الثقافي العام، ومن حيث إدراك المصالح العامة لهذه الجماعة دون أن يخل ذلك بإمكانات التعدد والتنوع والخلاف داخل هذه الوحدة.

ويكون التيار أساسًا سائدًا عندما تكون لديه القدرة والصياغات الفكرية والتنظيمية التي تمكن من تأليف أكثر ما يمكن تأليفه من خصائص كل القوى والفئات الثقافية والسياسية الاجتماعية، فضلًا عن الطوائف والمهن والجامعات المختلفة ذات الثقل، ويكون سائدًا عندما تكون لديه القدرة أيضًا على وضع صيغة للتوازن بين مختلف القوى والجماعات.

وبهذا المعنى يمكن القول إن فكرة التيار الأساسي تعد بوجه من الوجوه امتدادا لحركة المشروع الوطـني العام الذي تمت بلورته عن طريق الاستخلاص من الواقع الحي للحركة السياسية والثقافية القائمة في المجتمع[1].

- **رؤيته في مجال التجديد الحضاري:**

التجدد الحضاري في بلادنا وفي زماننا لا يكتفي البشري بالتصور الغربي والأوروبي الشائع، من أن الشعوب تسير من التخلف إلى التقدم، ومن الأفقر إلى الأغنى، ومن الأشقى إلى الأسعد، ومن الأسفل إلى الأعلى، هذا التصور الغربي الذي يرد مطلقًا في إطار التجربة التاريخية للغرب، إنما يرد في حدود الصدق النسبي بالنسبة لنا في إطار تجربتنا التاريخية أيضًا، فنحن أيضًا نواجه مخاطر ونصادف تحديات، ونلقى انعكاسات ونصاب بهزائم ونفقد أهم ما يبغيه الإنسان وهو الأمن الجماعي، وكل ذلك مرتبط بمسيرة تتراوح بين التقدم والتقهقر وبين السعادة والشقاء وبين الارتفاع والهبوط"[2].

[10]- طارق البشري، نحو تيار أساسي للأمة، دار الشروق، ط 1، القاهرة، 2011، صص: 31-32.

[10]- طارق البشري: "تقديم: الإصلاح والتجدد في أمتي .. صناعة توحيدية محلية وحضارية، أمتي في العالم"، الإصلاح في الأمة بين الداخل والخارج، ع 7، 2007، ص: 5.

ويتصل بهذا حديثه عن الإصلاح السياسي وعلاقته بالتجدد الحضاري. "فالإصلاح والتجديد السياسي باعتباره ذروة سنام الأمر، ولكن ليس هو الأمر كله بل لا يخلو من الحاجة الأساسية إلى أعمدة من الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي، بيد أن رأس الأمر هنا يتعلق - في رأيي- بالتجدد الحضاري، بحسبان هذا الأمر يمثل بنداً من بنود "المشروع الحضاري العربي الإسلامي للنهوض". فالمشكل هنا في أساسه مشكل ثقافي وفكري، وهو يتعلق بالنتاج الفكري في مجالات النشاط البَشَري للجماعة بعامة، سواء بالنسبة للأطر المرجعية التي يصدر عنها الناس، أو التصورات الذهنية النظرية التي ترسم الخطوط العامة لعلاقات البشر بالكون وبالجماعات المتباينة، أو النظم السياسية والاجتماعية التي تشخص تجمعاتهم وتنظم جوانب أنشطتهم الاجتماعية، أو أنماط العلاقات البشرية ووجوه المعاملات بين الناس، أو القيم التي يهتدون بها ويرسمونها في مناحي السلوك المختلفة.

والمشكل أيضًا يتعلق بالتجدد، بما يعني الحركة، حركة النشاط الفكري الثقافي من الماضي إلى الحاضر وإلى المآل المتوقع أو المتصور له في المستقبل، ثم حركة التفاعل بين كل مجال من مجالات هذا النشاط الفكري الثقافي وبين المجالات الأخرى المشار إلى بعضها فيما سبق، أي حركة التأثر والتأثير بين بعضها البعض، وذلك فضلاً عن الحركة الذاتية بين مفردات كل من هذه المجالات وأقسامها وأنواعها، وفضلاً عن الحركة العامة لكل هذه الجموع مع ما هو آت من خارج الجماعة بالوفود أو بالاقتحام أو بالاستجلاب"[1].

- **رؤيته في مجال الإصلاح والتجديد العقدي والفقهي:**

استفتحت بدعوة ابن عبد الوهاب (1703-1791) في نجد، ومحمد بن نوح الفلاتي في المدينة (1752-1803)، والدهلوي في الهند (1702-1762)، وفي اليمن الشوكاني (1758-1843)، والألوسي في العراق (1803-1854)، وفي المغرب السنوسي (1878-1859)، والمهدي في السودان (1843-1855). وهذه الدعوات تشترك في الدعوة للتجديد الإسلامي من خلال فتح باب الاجتهاد ونبذ التقليد والتعصب المذهبي الذي جمد النهضة العلمية الإسلامية وعرقل مسيرة التقدم والرقي، مما انعكس سلباً على الحالة الدينية والعلمية فأصيبت بالضعف والتراجع حتى أصبحت مطمعاً للأعداء ووصفت بدولة الرجل المريض.

11- المرجع السابق.

وقد نشأت هذه الحركات بعيدة عن قلب العالم الإسلامي – كما يشير البشري – بسبب رسوخ المؤسسات الدينية العصية على التغيير والتجديد فيها.

- **مقومات الإصلاح والتجديد لدى البشري:**

في هذا الصدد، يقدم المستشار البشري رؤية مهمة لمقومات الإصلاح والتجديد والنهوض قوامها، إذ لا يقوم "وطن فكري" واحد إلا **بمرجعية شرعية** واحدة تجمع المجتمع كله؛ لأن المرجعية الشرعية هي: ما يفيد قوة التماسك للجماعة، وهي ما يحدد الذات الجماعية ويتشكل بها الضمير "نحن". من هنا تبدو للبشري خطورة الانقسام المتعلق بأمر المرجعية الشرعية في الجماعة؛ "لأنه انقسام لا أقول يقسم الجماعة فقط، ولكنه يذيبها أو يعرضها للذوبان بما يفقدها من هويتها ومن إحساسها بالذات الجماعية. ومن جهة أخرى، فنحن يتعين أن نميز بين الموقف أو المأخذ الثقافي المتعلق بالإطار المرجعي وبين النظريات الاقتصادية والتوجهات والمواقف السياسية والاجتماعية. لقد جرى خطأ مشترك وقع فيه -في ظني- كل من مؤيدي المرجعية الإسلامية ومعارضيها، ذلك أن المؤيدين للمرجعية الإسلامية -وهم في معرض التأكيد على أن الإسلام دين ودنيا- نظروا إلى الإسلام باعتباره نظامًا سياسيًا واجتماعيًا، نظروا إليه لا بحسبانه مرجعية عامة يمكن أن تتفرع بمبادئه وأصوله وأحكامه نظم متباينة وفقًا لأوضاع الزمان والمكان وطبقًا للمذاهب الفكرية في استخلاص الأحكام، لم ينظروا إليه بهذه السعة ولم يراعوا إمكانات التنوع والتعدد في الأحكام والنظم التي يمكن أن تنبعث عن مبادئه وأحكامه، إنما قالوا عن الإسلام إنه يقيم نظامًا وحيدًا، واختلفوا في هذا النظام الذي تقيمه مبادئ الإسلام وأحكامه، فمنهم من قربه إلى الديمقراطية ومنهم من استقل به عنها وركز جهده على ذكر الفروق بينهما، ومنهم من قربه إلى توجهات العدالة الاجتماعية التي صاغت بها الاشتراكية دعاواها وتصوراتها، ومنهم من ميز نظام الإسلام عنها امتياز تناقض"[1].

ومن هنا يجب أن تنطلق رؤى الإصلاح وخطواته التي ينبغي أن تكون نابعة من الإطار المرجعي، وأن يقايس ما يرد من دعوات ونظم للإصلاح من الخارج. فالإصلاح في أمتنا لا يصلح إلا أن يكون منها وبما يتفق مع مرجعيتها الجامعة، ومصالحها الذاتية، ورؤيتها المتسامحة مع العالم من حولها.

[14]- طارق البشري: "أين المحنة التي تواجه الأمة؟، أمتي في العالم"، الحرب على العراق وتداعياتها على أرجاء الأمة الإسلامية، ع 7، 2005، ص:7.

- **منطلق الإصلاح والتجديد عند البشري:**

إن الأمة الإسلامية في محنة، وأنها محنة تستدعي الإصلاحَ والتجديدَ -**كما يقول البشري**- "بحثًا من الباحثين، ومراجعة من المفكرين"، ثم هي أولاً وأخيرًا، وهي من قبل ومن بعد؛ تستدعي انطلاقة من العلماء والمفكرين، الذين يستطيعون بسعيهم العلمي ونشاطهم الفعلي تغيير الواقع.

وهكذا ما بين الأمة والعالم، والأمة وعناصرها التكوينية من الدول والمجتمعات، ودوائر الانتماء والأبعاد الثقافية والحضارية لقضاياها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية تتحرك رؤية بشرية ومنهجية ونظرة ثاقبة، **يقول البشري:** "نحن طبعًا نحتاج إلى رؤية وإلى نظر وإلى فكر، وأن يكون ذلك سابقًا للفعل؛ لأنه مرشد له وهادٍ إلى حركته. ولكن ما أقصد أن أقوله إن ما لدينا من رؤى ومن نظر وفكر هو كافٍ الآن لبدء أي حركة فعلية؛ بل أكاد أقول إن رؤانا ونظراتنا وأفكارنا قد بلغت الحد الذي لا تستطيع بعده أن تتطور وتنمو إلا إذا مارست الأعمال التي تستوجبها عليها حصيلة ما بلغته هذه الرؤى والنظرات والأفكار. ... ما دُمنا في صدد الفكر والنظر؛ فعلينا أن نحدد ما بلغه علمنا من ذلك، وأن نستشرف ما نقف دونه مما نحتاجه ولم نُحِطْ به خبرًا بعد، ولن نحيط به - في ظني- إلا بالفكر المصاحب للفعل، وإلا بالنظر المواكب لحركة السواعد والأقدام"[1].

الخاتمة:

بعد الانتهاء من دراسة البحث وإتمامه بعون الله تعالى وتوفيقه، يمكن أن تجمل في هذه الخاتمة أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذه الدراسة، فضلا عن ذكر أن ليس هذا كل ما في كتابات المفكر البشري، بل فيها نفائس تحتاج الوقوف عليها خصوصا في وقاعنا اليوم، حيث قدم نظرة معتدلة لمجريات الواقع وطرق علاجه، وإنما الغرض هو لفت الانتباه إليه، واستنطاقه في تصويب العمل الإسلامي اليوم.

ويتَّضح ممَّا سبَق عرضه أنْ هناك نقاطًا أساسيَّة ينبغي أنْ تُراعَى بالنسبة للعمل الإصلاحي والتجديدي؛ ومن أبرزها:

[15] - طارق البشري: "تقديم: الإصلاح والتجدد في أمتي .. صناعة توحيدية محلية وحضارية، أمتي في العالم"، الإصلاح في الأمة بين الداخل والخارج، ع6، 2007، ص:1.

- **أولاً:** أن المسار العلمي ساهم في تكوين شخصية البشري معرفيا وفكريا، طبعا إلى جانب العديد من المؤثرات التي لم تكن بمعزل عن بعضها البعض، خصوصا السياق الثقافي والسياسي وتجربته الذاتية في القراءة وتعلقه بالعديد من الشخصيات.

- **ثانياً:** أنَّ الإصلاح والتجديد هو مَطلَبٌ وطنيٌ وإسلاميٌ، وأن الإصلاح له خطوات لابد أن تكون نابعة من الإطار المرجعي الإسلامي ومن القيم الحضارية الإسلامية.

- **ثالثاً:** أنَّ الإصلاح يكون بتجاوز العقبات والأزمات الراهنة التي تعاني منها الأمة العربية والإسلامية، ويعتبر دعوة يفضي إلى تحقيق النفع لمجتمعاتنا وإلى ما تصير به من أدوات مواجهة التحديات القائمة.

- **رابعاً:** أنّ التجديد هو أن يستجيب الفكر للتحديات التي يفرضها الواقع في مرحلة زمنية معينة، وأنه لابد أن يكون نابع من الإطار المرجعي الإسلامي ومن القيم الحضارية الإسلامية.

- **خامساً:** أن رؤية البشري هي محاولة بناء النظرية الإسلامية المعاصرة على جل المستويات الفكرية، القانونية، التشريعية، السياسية، الاجتماعية، والثقافية، والتاريخية.

قائمة المصادر والمراجع:

- طارق البشري: "تقديم: الإصلاح والتجدد في أمتي .. صناعة توحيدية محلية وحضارية، أمتي في العالم"، الإصلاح في الأمة بين الداخل والخارج، ع7، 2007م.
- طارق البشري، "حوار: العروبة والإسلام .. لا يتعارضان كل الدعوات السياسية قد تتأرجح بين التطرف والاعتدال"، مجلة الجزيرة، الدوحة، 2004.
- طارق البشري، "أين المحنة التي تواجه الأمة؟ أمتي في العالم"، الحرب على العراق وتداعياتها على أرجاء الأمة الإسلامية، ع6، 2005.
- طارق البشري: "حوار: العروبة والاسلام .. لا يتعارضان كل الدعوات السياسية قد تتأرجح بين التطرف والاعتدال"، مجلة الجزيرة، ع 73، 2004.
- طارق البشري:"تقديم: الإصلاح والتجدد في أمتي .. صناعة توحيدية محلية وحضارية، أمتي في العالم"، الإصلاح في الأمة بين الداخل والخارج، ع7، 2007.
- طارق البشري، نحو تيار أساسي للأمة، دار الشروق، ط 1، القاهرة، 2011.

- طارق البشري: منهج النظر في النظم السياسية المعاصرة لبلدان العالم الإسلامي، دار الشروق، ط1، القاهرة، 2005.
- طارق البشري: "أين المحنة التي تواجه الأمة؟ مجلة أمتي في العالم"، الحرب على العراق وتداعياتها على أرجاء الأمة الإسلامية، ع 7، 2005.
- طارق البشري: "تقديم: الإصلاح والتجدد في أمتي .. صناعة توحيدية محلية وحضارية، مجلة أمتي في العالم"، الإصلاح في الأمة بين الداخل والخارج، ع6، 2007.
- عبد الصبور شاهين: وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر، ط5، الجزائر، 1986.
- عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، شروط النهضة، دار الفكر، ط 4، الجزائر، 1987.
- الفقيه القانوني والمؤرخ والمفكر الكبير المستشار طارق البشري"، الشروق. 26 فبراير 2021.